مطالعات في الأدب والحياة

بقلم : محمد حسين اسماعيل

حديث عن القصة

لعل القصة أوسع الفنون الادبية انتشاراً بين القراء، واكثرها تأثيراً في النفوس . لانها بما تحيويه من الدروس والعبر ، وما يتخللها من الحوادث والمفاجئات ، وما يسبغ عليها الكاتب الماهر من جمال التعبير وحسن العرض ، لانها فانجوي من كل ذلك تجذب اليها قلوب القراء وعواطفهم أكثر من غيرها من بقية فنون الأدب .

والقصة اقرب انواع الادب من ذوق الجمهور ، لانها تصور نزعاته ، وتعبر عن آلامه ، وتتحدث عن افراده ، وتظهر عاداته ، وتسجل تقاليده ، بل هي سجل صادق لكل ما يريد القاص ان يسجله من الحقائق التي تمر تحت بصره كل يوم ، ولذلك فهي تدخل الى النفس الانسانية ببساطة ووضوح ، ويأخذ منها الانسان العبرة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، وترشده الى مواطن الحق والخير ،

وليست القصة وقفاً على نوع خاص من القراء ، كما هو الحال مع الشعر مثلا ، لان القصة يميل اليها واسع الثقافة ، ومتوسطها ، والقارئ العادي في وقت واحد ،

يقرؤها القارئ العادي على انها مجموعة حوادث مترابطة فيها العرض والعقدة والحل ، فيقضي ساعة ممتعة من وقته في مشاركة ابطالها مسراتهم وآلامهم ،

ويقرأ القارئ الممتاز ما يتخلل السطور من عرض لمشاكل الحياة ، ومحاولة ايجاد حل لها ، وتحليل العواطف الانسانية المتضاربة بين الخير والشر ، ثم قد يثير الكاتب في نفسه مناقشة حادة حول الحل الذي يرتأيه الكاتب وقد يوافقه أو يخالفه فيه ، ويناقش الافكار التي يبثها الكاتب في ثنايا القصة .

وقصة القصة قديمة طويلة ، لعلها ولدت مع المجتمع البدائي الاول ، حين كان افراد العائلة يقضون سحرهم في رواية ما حدث لهم وخيرانهم . ثم تطور الحال الى درجة اخرى ، فاخذوا يروون اقاصيص الحرب والغزوات وما يقع فيها . ثم اخذت القصة تأخذ لونا جديا فيه بعض المميزات التي تتطلبها القصة ذات المغزى ،

ولعل اقدم الاعمال القصصية في الادب الاوربي الياذة هو ميروس وهي قصة حروب طروادة، ثم الاذويسة وهما من الشعر القصصي .

اما في الأدب العربي ، فقد ظهرت ترجمة كليلة ودمنة عن الفارسية ، وهي مجموعة اقاصيص على لسان الحيوان ، وظهرت رسالة الغفران وهي رحلة خيالية الى الدار الاخرى، وفيها الكثير من التخيلات والطرائف باسلوب قصصي ، وظهرت المقامات لبديع الزمان والزمخشري وظهر كثير غيرها مما ينسب الى القصص اكثر من نسبته الى اي لون آخر من الاعمال الادبية .

على ان القصة الفنية بمفهومها الحديث قريبة العهد في شرقنا العربي ، ففي مصر بدأت تباشير الاتجاه الى القصة في الاقبال الذي حازته روايات طانيوس عبده وعمر عبد العزيز امين المنقولة ترجمته عن الادب الغربي ، وفي المحاولات التي قام بها محمد تيمور لخلق القصة العربية المحلية .

ثم بدأ كبار الكتاب في مصر بترجمة روائع الادب القصصي الاوربي الى العربية، فترجم الزيات روفائيل وآلام فرتر ، وعرب احمد زكي بك غادة الكاميليا، ونقل المنفلوطي قبلهما ماجدولين ، ولخص ابراهيم المصري الكثير من الروائع الغربية .

هذه الاقاصيص المترجمة وكثير غيرها ، ساعدت الكثير من القصاصين في صقل الموهبة ، والسير على الطريق ، ومحاولة ترسيخ اقدامهم فن القصة في الادب العربي ، فظهر محمود طاهر لاشين ، ومحمود كامل ، وسعيد عبده ، وكان الرائد الذي يسير في المقدمة محمود تيمور بك الذي يعد بحق زعيم القصة العربية .

اما في بقية الاقطار العربية فقد كان الفن القصصي اقل بروزا ، وفي العراق ظهرت تباشير القصة على اقلام محمود السيد وانور شاؤل وجعفر الخليلي وعبد المجيد لطفي ، ثم برز في الميدان ذوالنون ايوب وعبد الحق فاضل ومحمود محمد الحبيب وكثير غيرهم من القصاصين .

محمود محمد الحبيب

ولد في البصرة عام ١٩٢٢ وانهى دراسته في دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٤٤ واشتغل بالتدريس زمنا ، ثم رأى ان يتم تعليمه العالي ، فاختير عضواً للبعثة العراقية في الجامعة الامريكية ببيروت .

كان لجمال البصرة - بلد الماء والخضراء والربيع الدائم - أعظم الأثر في ارهاف حسه ، وانماء ملكة التذوق للجمال في نفسه ، ومحاولة التعبير عن كل ما يشعر ويرى ، وبدأ تكوينه الادبي بنظم بعض المقطوعات الشعرية ، وكان اذ ذاك يحب العزلة ويألف بها ، ثم اختلط بالناس فسمع اقاصيص حياتهم وما تحمل من عبر ، ورأى بعينيه واقع الحياة وما يحوي من صور ، وشعر بما يزخر به الوسط من عجائب ومتناقضات ، فاحس بضرورة التعبير عما رأى وسمع وخيل اليه ان القصة اكثر استجابة لرغبته في التعبير والابانة فاتجه اليها ، يبث بين ثناياها خواطره وآراءه ، وينقل بين تضاعيفها صورة صادقة لما يمر تحت سمعه وبصره على ان القصة لم تصرفه اطلاقا عن كتابة المقالة الادبية وان ظل الخيال القصصي يغمر انتاجه .

ولعل القارىء يعلم بان محمود الحبيب من اقدم الكتاب البصريين في النشر ، فقد بدأ ينشر «ما يكتب وهو في مقتبل العمر ، فنشر على صفحات الاتحاد والهاتف والبيان والعقيدة والدليل وفي كثير من الصحف الاخرى في الداخل والخارج

وفي غير الميدان القصصي نشر في البيان « سقراط في السوق » وهو مقال تصور فيه عودة سقراط الى الحياة ومناقشته لما يقع تحت بصره ، ونشر « مؤتمر الطيور » وهو مقال طريف تحدث فيه عن الشعراء والمتشاعرين .

وكتب لمجلة الدليل عدة دراسات طويلة عن ادباء المهجر ومنهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة . وهي دراسات ممتازه تنبيء عن قابليته واستعداده وقد نقلت احداها جريدة تلغراف السورية .

على ان القصة كانت مجاله الدائم واليها يتجه هواه . وسواء اكان ما يكتبه قصة أو ترجمة او دراسة ، فان القاريء المتتبع يجد روح الكاتب بارزة طاغية . تتجلى في روعة الاسلوب ، وبراعة العرض ، وطرافة الفكرة ، وعقلية المسيطر الذي كتب فيه

وعلى الرغم من كثرة مشاغله الآن بين الدراسة والتحضير والمطالعة ، فانه لا يزال في ركب الثقافة ينشر ما يكتب في سوريا والعراق ، ويجمع باقة من ورد حديقته الزاهرة ليقدمها للقراء باسم « صرعى » ويعهد للاستاذ علي الخاقاني بطبعها وتقديمها لقراء منشورات البيان .

صرعى

وصرعى أول مجموعة قصصية للاستاذ محمود محمد الحبيب الذي نستعرض الان أدبه مع قراء هذا الباب من البيان .

تحوي المجموعة على ١٨ قصة ومقالة باسلوب قصصي ، تتجلى فيها روح القاص الماهر ، ودراية الاديب المتذوق ، وخيال الشاعر الناثر ، وصوفية المثالي الذي يمجد الروح ويمقت نزوات الجسد . ويدعو الى الخير ويمقت الرذيلة ، كل ذلك في الخواطر التي يبثها في ثنايا ما يكتب على لسان ابطال اقاصيصه وخلال العرض .

ففي « مصرع فنان » تقرأ قصة فنان مثالي احب امرأة ثم تزوجت غيره . وعادت بعد الزواج تنصب له الشباك ، وتغريه بالرذيلة ، فيأبى ذلك لان الفن اصيل في نفسه ، ويحاول صرف المرأة عما تريد ، ولكنها لم تكن امرأة تعترف بالهزيمة فارادت ان تحطم حياته ، واستطاعت ان تخدع زوجها وتزعم له بان الفنان يريد ان يلوث طهارتها ، فيثور الزوج ، وينتقم للعرض المثلوم ، ويسدل الستار على رجل قتيل ، ورجل آخر في السجن ، وشيطانة تمرح باحثة عن صيد جديد .

وفي « اللهيب الازرق » يقص عليك الكاتب قصة حقيقية سمعتها انا ايضاً من صاحبها ، وهي قصة الحب منذ